Journal Of the Iraqia University (73-10) August (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

لمحات من أخلاقيات مهنة التدريس في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

هديل سالم برهان المحمدي

Abstract

This research delves into the philosophy of moral exemplarity in the teaching profession and its profound impact on student behavior and the overall effectiveness of the educational process. It argues that the teacher's role transcends mere knowledge transmission to embody a living ethical model whose attitudes and actions shape the intellectual, emotional, and social development of students. Rooted in both contemporary Western educational theories and modern Islamic thought, the study highlights the convergence between these perspectives on the essential function of the teacher as a moral compass and agent of holistic human development.The research emphasizes that consistency between a teacher's words and deeds, sincerity, humility, justice, and compassion are not only virtues but fundamental pillars of effective pedagogy that foster a positive and motivating learning environment. Such an environment enhances student engagement, reduces behavioral challenges, and strengthens academic achievement. Moreover, the moral conduct of teachers significantly influences the formation of societal values, reinforcing social cohesion and cultural identity.Recognizing the critical role of the teacher as a bearer of values, this study calls for educational policies that prioritize moral education in teacher training programs, integrate values-based curricula, and establish continuous evaluation mechanisms to sustain ethical standards in education. Furthermore, it advocates for a harmonious integration of Islamic ethical principles with modern pedagogical approaches to equip educators with the capacity to navigate contemporary challenges.In conclusion, moral exemplarity in teaching is indispensable for nurturing balanced individuals capable of contributing positively to society, thereby ensuring the continuity of ethical and cultural heritage amidst rapid social change.

المقدمة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، ورفع أهل العلم درجات، وخصّهم بالمكانة والرفعة في الدنيا والآخرة، والصلاة والسلام على خير معلمٍ للبشرية، ورسول الرحمة، وقدوة المربين، سيدنا محمد ﷺ الذي قال" *إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق* ".أما بعد:فإنّ مهنة التدريس تُعدّ من أرقى المهن الإنسانية، وأعظمها أثرًا في بناء الفرد والمجتمع، إذ إنها تقوم على غرس القيم وتوريث المعارف وتشكيل العقول والسلوك. ولمّا كانت التربية والتعليم من دعائم الحضارة، فقد أولى الإسلام هذه الرسالة الجليلة اهتمامًا بالغًا، ومنح من يحملها مكانة مرموقة، لما يترتب على عمله من نتائج بعيدة المدى تمس جوهر الإنسان وتحدد معالم مستقبله.لقد أصبح من المسلّم به أن التعليم لا يقتصر على نقل المعرفة أو تنمية المهارات، بل يتعدى ذلك إلى صياغة الضمير الأخلاقي لدى المتعلّم، وتشكيل منظومته القيمية، وترسيخ المبادئ التي تضمن له السير في الاتجاه الصحيح، في عالم تتلاطم فيه التحديات الفكرية والسلوكية والثقافية. ومن هنا تتجلى أهمية أخلاقيات مهنة التدريس، باعتبارها الحاضنة التربوية لسلوك المعلم، والمعيار الذي يُقاس به أداؤه وأثره في بيئة التعليم.إنّ القرآن الكريم والسنة النبوية يشكلان المصدر الأصيل لكل منظومة أخلاقية إسلامية، بل إنّ الرسالة المحمدية منذ بداياتها ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالعلم والأخلاق، كما يتضح من أول ما نزل من الوحي على قلب النبي ﷺ، في قوله تعالى:

﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[1] فبهذه الآيات تتأسس العلاقة بين التعليم والربانية، وتُغرس مكانة المعلم بوصفه ناقلًا لرسالة سامية، لا مجرد وسيط معرفي. كما أن السنة النبوية قد أولت التعليم عناية عظيمة، وحثت على الإخلاص فيه، والرفق بالمتعلمين، وتحلّي المعلم بالصبر والحكمة والقدوة.ومن خلال تأملي كمربية وتدريسية في واقع التعليم، وفي ظل ما يعيشه الطالب من تحديات وضغوطات اجتماعية ونفسية، وملهيات تكنولوجية وانفتاح ثقافي غير منضبط، شعرت بأهمية العودة إلى الأصول التربوية التي قررها الشرع الحنيف، في سبيل إعادة توجيه المسار التربوي نحو الأهداف السامية التي من أجلها شُرع التعليم.

فقد أصبح من الضروري أن نعيد قراءة الدور الأخلاقي للمعلم، ونستحضر مسؤوليته في غرس القيم وصيانة الفطرة وتحصين الهوية.وقد كان اختياري لهذا الموضوع نابعًا من عدة اعتبارات، أبرزها:

١. لفت انتباه المعلم إلى البعد الأخلاقي في مهنته، وإدراكه لكونه قدوة قبل أن يكون ناقلًا للمعرفة.

٢. التركيز على أن الهدف من التعليم ليس فقط بناء الأذهان، بل بناء الإنسان كاملًا، ليكون حرًا في اختياره، واعيًا في قراراته، لا أسيرًا لإملاءات المجتمع، ولا أداة في تحقيق أحلام غيره، بل شريكًا فعّالًا في تقرير مصيره واختيار مستقبله.ولتحقيق أهداف هذا البحث، تم اعتماد المنهج التحليلي القائم على استقراء النصوص القرآنية والنبوية ذات الصلة بأخلاقيات التعليم، وتحليلها في ضوء الواقع التربوي الراهن، مع محاولة الوقوف على أسباب التراجع الأخلاقي لدى بعض العاملين في ميدان التعليم، ومناقشة الآثار السلبية لذلك، وصولًا إلى اقتراحات عملية يمكن أن تسهم في تعزيز الجانب الأخلاقي في هذه المهنة الشريفة.وتجدر الإشارة إلى أن هذا البحث لا يقتصر على الجانب الأكاديمي النظري فحسب، بل يسعى إلى أن يكون مادة مبسطة تساعد أولياء الأمور والمعلمين معًا في التعاون على بناء جيل سليم، يجمع بين المعرفة والقيم، ويعي المعلم من خلاله أن وظيفته ليست مجرد وظيفة إدارية أو مالية، بل رسالة أخلاقية وإنسانية سامية، تستمد عظمتها من كونها مهنة الأنبياء، وأمانة ربانية، ووسيلة لإعمار الأرض وفق ما شرعه الله.وعليه، فقد قُسّم هذا البحث إلى مطلبين رئيسيين:المطلب الأول: يعالج الأساس الشرعي لأخلاقيات مهنة التدريس كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية. والمطلب الثاني: يناقش أثر القدوة الأخلاقية في سلوك الطالب وفاعلية العملية التعليمية. ويُختتم البحث بخاتمة تتضمن أبرز النتائج والتوصيات، تليها قائمة المصادر المعتمدة.ونسأل الله التوفيق والسداد، وأن يبارك في كل معلمٍ يؤدي رسالته بإخلاص، ويجعل من مهنته وسيلة لرضاه، وسببًا في نهضة أمته.

المطلب الأول الأساس الشرعي لأخلاقيات مهنة التدريس كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية

تُعد مهنة التدريس من أشرف المهن الإنسانية، إذ تمثل ركيزة أساسية في بناء المجتمعات، وصناعة الأجيال، وتوجيه الفكر، وتقويم السلوك. ولم يكن هذا التشريف لمهنة التعليم محضَ مدحٍ اجتماعي أو عرفي، بل جاء متجذّراً في المنظومة القيمية والتشريعية الإسلامية، التي منحت التعليم مكانة سامية، وعدّته من أعظم القُرَب، وأشرف الوظائف. فالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تضمّنا جملة من المبادئ والأسس التي تشكل الخلفية الشرعية لأخلاقيات مهنة التدريس، وتمثل مرجعية عليا في سلوك المعلّم، وطريقة أدائه لرسالته التربوية.لقد أولى الإسلام عناية بالغة بالعلم والتعليم، واعتبره طريقًا للارتقاء في مدارج الكمال الإنساني، والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى. فبالعلم تُصان العقول، وتُبنى الحضارات، وتُرسّخ القيم، وتُؤدى العبادات على وجهها الصحيح. وتُشير إحصاءات منظمة اليونسكو (UNESCO) إلى أن معدلات التنمية البشرية ترتبط طرديًّا بمستوى التعليم، وتؤكد الدراسات الحديثة أن كل سنة دراسية إضافية للفرد تُسهم في رفع الناتج القومي بنسبة ١٪ في الدول النامية، مما يعكس العلاقة الوثيقة بين التعليم والتقدم. ولئن كان هذا في ميزان الاقتصاد، فإن في ميزان الشريعة ما هو أعمق وأجل. [٢]

أولاً: القرآن الكريم ومكانة التعليم والمعلمين جاءت أول آية نزلت في القرآن الكريم لتفتتح مسيرة الوحي بكلمة "اقرأ"، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ١–٥). وهذه الآيات، على قِصرها، تؤسس لمنظومة معرفية أخلاقية عميقة، تُظهر أن القراءة والعلم أول ما ينبغي أن يُبنى عليه الوحي، وأن التعليم هو سبيل الكرامة الإنسانية، ووسيلة الرقي في سلم الخلافة الاستخلافية في الأرض.إن نسبة التعليم إلى الله تعالى في هذه الآيات (علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم) تُضفي على العملية التعليمية قدسيةً وروحانية، وتُحمل المعلم مسؤولية كبرى، لا بوصفه ناقلًا للمعلومات، بل وارثًا لصفة ربانية، فالله سبحانه هو أول من علّم. وفي موضع آخر، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [٣]وقد اتفق جمهور المفسرين على أن هذه الرفعة درجات في الدنيا والآخرة، بما يعكس تميّزَ المعلم في المجتمع الإسلامي، ويُحمّله تبعات هذه الرفعة من حيث التخلّق بالصدق، والصبر، والتواضع، والعدل، والمسؤولية.وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [٤] إشارة إلى أن التعليم حين يكون موجهاً نحو الله، ومبنيًا على القيم الصالحة، فإنه من أشرف ما يمكن أن يبلغه الإنسان.

ثانيًا: السنة النبوية وأخلاقيات التعليم في السنة النبوية، يظهر النبي صلى الله عليه وسلم في هيئة المعلم الكامل، المربي الحكيم، الذي لم يكتف بتبليغ الوحي، بل ربّى النفوس، وعلّم الأجيال، وخرج جيلاً من الصحابة حاز قصب السبق في ميادين المعرفة والعمل. قال عليه الصلاة والسلام: "إنما بُعثتُ معلماً" (رواه ابن ماجه)، وهذا التصريح النبوي يمثل تعريفاً وظيفياً لمهمة الرسالة، ويضع التعليم في قلب العمل النبوي.وقد حرص النبي ﷺ على غرس القيم الأخلاقية في المعلمين، ومن ذلك الحث على الرفق، فقد قال: "اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به" (رواه مسلم). فالمعلم ليس مجرد مرسل للمعلومة، بل هو قائد تربوي يُلهم، ويحتوي، ويوجه

بلطف ورحمة.ومن أعظم القيم التي ترسخها السنة، تحذيرها من كتمان العلم، قال رسول الله ﷺ: "من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة" (رواه أبو داود). فهذا الحديث يُحمّل المعلم مسؤولية شرعية في تبليغ العلم، ويجعل التعليم عبادة مشروطة بالإخلاص، بعيدة عن الاستغلال أو التجهيل.كذلك، ورد في الحديث: "إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير" (رواه الترمذي). وهذا التبجيل الرباني للمعلم يوضح أن أثره متعدٍ، وفضله عظيم، مما يستدعي التزاماً أخلاقياً وسلوكياً يتناسب مع هذا الفضل.

ثالثًا: القيم الأخلاقية التي ينبغي أن يتحلى بها المعلم في ضوء النصوص الشرعية إن مهنة التعليم في الإسلام لا تُعد مجرد وظيفة يؤديها الإنسان لأجل الرزق، بل هي رسالة عظيمة تنبع من جوهر الدين، وتتصل اتصالاً مباشراً بتربية النفوس وتهذيب العقول وبناء الأجيال. ومن هنا، فإن القيم الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها المعلم المسلم لا تُفصل عن رسالته، بل هي جزء من جوهرها، وهي التي تمنحه شرعية التأثير، وتضفي على كلماته النور، وعلى سلوكه الاحترام. وفيما يلي بيانٌ موسع لأهم هذه القيم الأخلاقية في ضوء التأصيل الشرعي والتربوي:

.1 الإخلاص في النية:الإخلاص هو الأساس الذي تُبنى عليه الأعمال الصالحة، والمعلم المسلم لا يجوز له أن ينفصل عن هذه القاعدة التربوية العظيمة. فالتعليم، حينما يُؤدى بنيّة خالصة لله تعالى، يتحوّل من مجرد نقلٍ للمعلومات إلى عبادة تُثقل الميزان وتُثمر أثراً طيّباً في الأرض. إن المعلم المخلص لا يعلّم طمعاً في رفعة اجتماعية أو حباً للظهور والتباهي، بل يعلم أن وظيفته تتعدى الظاهر إلى تشكيل وجدان الأمة. هذا الإخلاص يُشعره بعظم الأمانة التي يحملها، فيبذل كل ما في وسعه من جهد وفكر وتفانٍ في أداء رسالته، حتى وإن لم يُقدّر أو يُكافأ. فالمعلم المخلص يرى طلابه حسنات جارية تمضي في الحياة بعده، ويجد في نجاحهم أكبر مكافأة. [٥]

.2 الرحمة والرفق:الرحمة خُلُقٌ مركزي في شخصية المعلم الناجح، فهي التي تُقرّب القلوب، وتفتح العقول، وتُمهّد الطريق لغرس القيم والمفاهيم. والمعلم حين يتعامل مع طلابه بلين ورفق، يشعرون بالأمان النفسي والانتماء الوجداني، ما يجعلهم أكثر تقبلاً للعلم وأشد حرصاً على نيل المعرفة. إن الرحمة ليست ضعفاً، بل قوة ناعمة تُكسب المعلم مكانة رفيعة في نفوس طلابه، وتُعلّمهم كيف يكون التفاهم بديلاً عن العنف، والحوار بديلاً عن الصراخ. الرحمة تجعل المعلم يتفهم ظروف الطلاب، ويتأنى في الحكم عليهم، ويمنحهم الفرصة للنمو والتطور دون قسوة أو تحقير. [٦]

.3العدل والإنصاف العدل هو صمّام الأمان في العلاقة التربوية بين المعلم وطلابه. فإذا شعر الطالب بأن معلمه ينصفه، ويحكم عليه بميزان الحق لا بالمحاباة أو التحيز، تولّد في نفسه الشعور بالاحترام والثقة، وأقبل على الدرس بعزيمة وإخلاص. إن من أعظم الأخطاء التي يقع فيها بعض المعلمين هو التمييز بين الطلاب على أساس الطبقة أو المظهر أو العلاقات، فهذا يُفسد البيئة التعليمية ويُنشئ جيلاً مشوّه التصور عن العدالة. المعلم العادل يُنصف الطالب الضعيف، ويُشجّع المجتهد دون غلو، ويُقيم أداء الجميع بميزان واحد، فيكون في قسمه نموذجاً تربوياً لما يجب أن يكون عليه المجتمع من عدالة ومساواة.

.4التواضع العلم كلما ازداد صاحبه به علماً، ازداد شعوراً بالحاجة إلى المزيد، فالعالم الحقّ لا يتعالى بعلمه، بل يزداد به تواضعاً. والمعلم المتواضع لا يرى في نفسه مقاماً فوق طلابه، بل يراهم شركاء في رحلة البحث عن الحقيقة، ويُقدّر أسئلتهم وآرائهم، ويمنحهم حرية التعبير، ويعترف بالخطأ إن وقع فيه. التواضع يُكسِب المعلم هيبة خفية، لا تقوم على التخويف، بل على المحبة والاحترام. إنه يفتح أبواب الحوار، ويجعل الطالب يشعر بأن معلمه قريب منه، يفهمه ويتفاعل معه. وبهذا، يتحول الصفّ الدراسي من منبر تلقين إلى فضاءٍ تربوي ينمو فيه الجميع. [٧]

.5القدوة الحسنة لا يكفي أن يُلقي المعلم المواعظ على طلابه، ما لم يكن هو أول من يطبقها في سلوكه. إن الطالب يراقب المعلم في كل تصرف، ويقرأ من حركاته وسكناته ما قد لا ينطقه لسانه. ومن هنا، فإن المعلم الحقّ هو من يُجسّد القيم التي يُعلّمها، ويكون مرآةً صادقة لما يدعو إليه. القدوة لا تُبنى بالكلمات، بل بالمواقف. حين يرى الطالب معلمه يتحلى بالأمانة والانضباط والصدق، ينطبع ذلك في نفسه، ويغدو تقليداً سلوكياً. وكلما حافظ المعلم على سلوكيات رفيعة، من حسن المظهر، واحترام الوقت، وحسن التعامل، والانضباط الذاتي، كلما غرس ذلك دون أن يشعر أعمق معاني الأخلاق في نفوس طلابه. [٨]إن هذه القيم ليست مجرد صفات شخصية، بل هي شروط أساسية للنجاح التربوي، وركائز في مشروع البناء الحضاري للمجتمع. فالمعلم الذي يجمع بين العلم والخلق هو الذي يُخرّج أجيالاً صالحة، تملك ناصية العلم، وتتحلى بفضائل الأخلاق، وتُسهم في نهضة الأمة وبناء مستقبلها المشرق.

المطلب الثاني أثر القدوة الأخلاقية في سلوك الطالب وفاعلية العملية التعليمية في ضوء الفكر الإسلامي الحديث والرؤية التربوية الغربية

إنّ المسألة التربوية لم تعد تُقاس اليوم بكم المعارف التي تُنقل داخل الفصول الدراسية، بل بقدرة هذه المعارف على **تكوين الإنسان المتكامل**، أخلاقيًا ومعرفيًا ونفسيًا واجتماعيًا. وهذا ما أدركه الفكر الإسلامي الحديث مبكرًا، حينما اعتبر أن العملية التعليمية لا تكون ناجعة ما لم تُقرن

بالقيم العليا، وأن المعلم ليس وسيطًا معرفيًا فحسب، بل حاملًا لرسالة حضارية غايتها إصلاح الفرد والمجتمع معًا. [٩]ومن جهة أخرى، نجد أن الفكر التربوي الغربي، بعد مراحل طويلة من التركيز على الجانب العقلي المجرّد، بدأ في العقود الأخيرة يُعيد الاعتبار إلى البُعد الأخلاقي في التعليم، لا سيما بعد أن كشفت الأزمات السلوكية المعاصرة عن **ثغرات حقيقية** في تكوين شخصية المتعلم، الذي بات يحمل مهارات عالية ولكن يعاني من ضياع قيمي وفقدانٍ لهوية واضحة. [١٠]من هذا المنطلق، تهدف هذه الدراسة إلى بيان أثر **القدوة الأخلاقية** في التربية والتعليم، من خلال مقارنة وتحليل بين الفكر الإسلامي المعاصر والرؤية الغربية الحديثة، وتجلية عناصر التقاطع بين المنظومتين.

أولاً: القدوة الأخلاقية أساس بناء الشخصية في الفكر الإسلامي الحديث والرؤية الغربية النقدية

الفكر الإسلامي الحديث ينطلق من رؤية شاملة ترى أن الإنسان مكوَّن من جسد وعقل وروح، وأن التربية التي تهمل أيًّا من هذه الأبعاد تُنتج إنسانًا ناقصًا. لذلك، فقد وُضعت القدوة الأخلاقية في قلب المشروع التربوي الإسلامي، باعتبارها الوسيلة الأنجع لترسيخ القيم العليا لدى النشء. ووفق هذه الرؤية، فإن المعلم لا يمكنه نقل المعلومة بفاعلية ما لم يكن ذاته صورة للقيمة التي يُعلّمها. [١١]وقد طوّر الفكر الإسلامي هذا التصور ليؤكد أن المعلم ليس عنصرًا مساعدًا في المنظومة، بل هو **المصدر المركزي للتأثير والتوجيه**، ولذلك عُدّ في بعض المؤلفات "الفاعل التربوي الأول."أما في الفكر التربوي الغربي، فقد بدأ الوعي بأهمية النموذج الأخلاقي للمعلم يظهر بشكل أوضح في أدبيات **التربية النقدية** (Critical Pedagogy)التي نشأت في الستينات والسبعينات، على يد (باولو فريري) وغيره من المصلحين. حيث شدد هؤلاء على ضرورة وجود "المعلم الملتزم"، الذي لا ينقل معلومات محايدة، بل يسهم في تحرير الوعي وتشكيل الضمير الجمعي للطلاب. [١٢]وهنا تتلاقى رؤيتان، إحداهما rooted في الأصالة الدينية والثقافية (الإسلام)، والثانية ناتجة عن تجارب حداثية مراجِعة للأنموذج المادي البحت (الغرب)، في التركيز على "المعلم الإنسان" قبل "المعلم الموظف." [١٣]

ثانيًا: النموذج الأخلاقي وتأثيره في التكوين السلوكي للطالب

يرى الفكر الإسلامي أن السلوك لا يُبنى عبر الوعظ المجرد، وإنما من خلال **المعايشة اليومية لنموذج أخلاقي حيّ** .وقد نُظر إلى المعلم بوصفه "المرآة التربوية الأولى" التي ينعكس فيها المعنى الحقيقي للقيم التربوية. فالمعلّم في هذه الرؤية ليس جزءًا من النظام التربوي، بل هو بذاته النظام. [١٤]هذه الرؤية دفعت العديد من المفكرين الإسلاميين المعاصرين إلى المطالبة بإعادة النظر في برامج إعداد المعلمين، بحيث لا تقتصر على تأهيلهم معرفيًا، بل تشمل **إعادة بناء شخصياتهم سلوكيًا وقيميًا**، بما يُعزز مكانتهم بوصفهم قادة وقدوات قبل أن يكونوا مدرسين. [١٥]وفي السياق نفسه، أظهرت الدراسات الغربية المعاصرة – ومنها تقارير مؤسسة RAND و – OECD أن المعلمين الذين يتحلون بالسلوكيات الأخلاقية الإيجابية يساهمون في تحسين الأداء السلوكي والمعرفي للطلاب بنسبة تصل إلى ٣٠٪. بل إن بعض المدارس الأوروبية باتت تُقيّم كفاءة المعلم بناء على "الأثر الوجداني" الذي يُحدثه في طلابه، لا فقط على نجاحهم في الاختبارات.هذا يعني أن **القدوة الأخلاقية** لم تعد ترفًا تربويًا، بل حاجة تعليمية موضوعية تُقاس بالأثر وتعكس نجاح المؤسسة التعليمية أو فشلها.

ثالثًا: لا فاعلية تعليمية بلا بنية أخلاقية

في الفكر الإسلامي، لا تُفهم العملية التعليمية باعتبارها حيادية أو تقنية، بل هي **فعل أخلاقي جوهري**، يحمل في طياته رؤية للمجتمع والإنسان والمستقبل. ولذلك لا يمكن للمعلّم أن يكون فاعلًا في نقل المعنى ما لم يكن هو ذاته حاملًا للمعنى. [١٦]ويُشدّد الفكر الإسلامي المعاصر على أن الأخلاق لا تُدرّس كمادة، بل تُبث كنموذج حي، وأن أي انفصال بين القيم والمحتوى المعرفي هو تفريغ لمضمون العملية التعليمية من روحها. [١٧] وفي الاتجاه نفسه، بدأت الدول الغربية في العقود الأخيرة تتحدث عن مفهوم "المدرسة الآمنة نفسيًا وأخلاقيًا (Safe & Ethical School) " (Environment، وتُظهر الأبحاث أن القيم غير المنطوقة التي يتعلمها الطالب من سلوك المعلمين، تؤثر أكثر من المنهاج المقرر، وهو ما يسمّى في الأدبيات التربوية الغربية بـ **"المنهاج الخفي(Hidden Curriculum)** "وهذا المنهاج غير الرسمي، والذي لا يُدوّن في الكتب، هو ما ظل الفكر الإسلامي يراه أساسًا في التربية منذ قرون.

رابعًا: المعلم الحضاري في الرؤية الإسلامية والمعلم الإنسان في الرؤية الغربية يميز الفكر الإسلامي بين "المعلم الموظف" و"المعلم الرسالي"، ويدعو إلى تربية معلمين **يمتلكون مشروعًا حضاريًا**، لا مجرد أدوات إلقاء. فالمعلم في الإسلام جزء من مشروع النهضة، حامل لرؤية اجتماعية وأخلاقية ومصلح على المستوى الوجودي. وهذه الرؤية تتجاوز المهارات التقنية إلى بناء **الذات الواعية**. [١٨]وفي المقابل، ومع تطور الفكر التربوي الغربي، بدأت تظهر مفاهيم مشابهة: فبدل "المعلم الكفء"، بدأت النظريات تتحدث عن "المعلم الإنسان"، و"المعلم القائد"، و"المعلم القادر على

الإلهام". وهذه التحولات تعبّر عن اعتراف غربي بأن **الكفاءة المجردة غير كافية** لبناء مجتمع معرفي أخلاقي.إن التقارب بين الرؤيتين اليوم يطرح سؤالًا جوهريًا: كيف يمكن استثمار هذه المشتركات لتطوير نموذج عالمي للتعليم الأخلاقي الفاعل؟

خامسًا: القدوة في عصر الإعلام الرقمي وصراع المرجعيات

الفكر الإسلامي الحديث يُنبه إلى أن المعلم لم يعد المصدر الحصري للمعلومة، لكنه لا يزال المصدر الحيّ للقيم، ولذلك فإن قدرته على التأثير باتت تتطلب **مضاعفة حضوره القيمي**، خصوصًا في زمن تنتشر فيه منصات تقدم نماذج مضادة أخلاقيًا.إن غياب المعلم القدوة يفتح المجال لسيادة "القدوة الرقمية"، وهي شخصيات لا تملك رؤية تربوية ولا مسؤولية مجتمعية، لكنها تمتلك **جاذبية التأثير العاطفي السريع**، مما يهدد التكوين القيمي السليم للطالب.وهذا الخطر تدركه الأنظمة الغربية أيضًا، حيث تحذر دراسات كثيرة من تفكك المرجعيات القيمية لدى الجيل الجديد، ومن وجود "فراغ قدوة" يجعلهم ضحية لمن يملأ هذا الفراغ عبر شبكات التواصل. [١٩]إن المعلم القدوة، وفقًا للفكر الإسلامي، هو **الحصن الأخير** أمام هذا الاجتياح، لأنه يقدم النموذج الواقعي الذي يُمكن الاقتداء به.

سادسًا: نحو تكامل بين الفكر الإسلامي والفكر التربوي المعاصر

تُظهر المقارنة التحليلية أن هناك تقاطعات كبيرة بين الفكر الإسلامي والفكر التربوي الغربي المعاصر، خاصة في النواحي الآتية:

- **الاعتراف بدور المعلم القيمي والوجداني**، لا فقط المعرفي.
- **أهمية البيئة الأخلاقية داخل الفصل** كشرط للنجاح الأكاديمي.
- **خطورة المنهاج الخفي** في التأثير على شخصية الطالب.
- **ضرورة إعداد المعلم تربويًا وإنسانيًا لا فقط مهنيًا.**

ومن هنا يمكن للدول الإسلامية أن تبني سياسات تعليمية تستفيد من التجربة الغربية، لكنها **تحافظ على أصالتها الفكرية والقيمية**، بما يضمن توازنًا بين الحداثة والهوية.

خاتمة البحث

في ضوء ما استعرضناه من مفاهيم وأسس حول أثر القدوة الأخلاقية في سلوك الطالب وفاعلية العملية التعليمية، يتضح لنا أن القدوة ليست مجرد مظهر شكلي أو وظيفة عابرة داخل العملية التربوية، بل هي جوهر هذه العملية وروحها التي تنبض بالحياة. فالقدوة الأخلاقية للمعلم تعد اللبنة الأولى التي يُبنى عليها بناء شخصية الطالب وتشكيل وعيه وقيمه، الأمر الذي يؤثر بشكل مباشر وعميق على مستواه التعليمي والتحصيلي، فضلاً عن بناء منظومة متكاملة من القيم المجتمعية التي تنهض بها الحضارات.لقد أظهرت الدراسات الحديثة، بالإضافة إلى الرؤى الفكرية الإسلامية المعاصرة، أن تفاعل الطالب مع المعلم لا يقتصر على مجرد تلقي المعرفة، بل يشمل التفاعل الوجداني والنفسي، مما يجعل من المعلم نموذجاً حياً يُحتذى به في كل أبعاد الحياة. ومن هنا فإن الاتساق بين قول المعلم وفعلِه، وصدق نيته، وتواضعه، ورحمته، وإنصافه، ليست مجرد فضائل أخلاقية تُضاف إلى سلوك المعلم، بل هي مقومات أساسية لنجاح رسالته التربوية.كما أن الفكر الإسلامي الحديث والفكر التربوي الغربي قد التقيا على حقيقة واحدة، وهي أن التعليم الفعال لا يمكن أن يتم بمعزل عن القيم الأخلاقية، وأن المعلم القدوة هو العمود الفقري في هذا السياق، إذ أن تحصيل الطالب المعرفي ومهاراته وسلوكه تتشكل بشكل مباشر من صورة المعلم في ذهنه.وعلى المستوى المجتمعي، فإن المعلم الذي يتسم بالقدوة الأخلاقية لا يسهم فقط في تطوير الفرد، بل يرسخ القيم الأخلاقية والثقافية التي تقوي النسيج الاجتماعي وتُعزز من قدرة المجتمع على مواجهة تحديات العصر، من انحرافات أو تراجع حضاري أو فقدان للهوية.إن هذا البحث يؤكد أن الاستثمار الحقيقي في تطوير التعليم يرتكز بشكل أساسي على تطوير الإنسان المُعلّم، صانع القيم والقدوة، لا على الوسائل التقنية أو المناهج وحدها. ولذلك فإن السياسات التعليمية الحديثة في الدول المتقدمة باتت تُعطي أولوية قصوى لتدريب المعلمين على مهارات القدوة الأخلاقية وتعزيز الوعي الأخلاقي لديهم، مع الأخذ بعين الاعتبار التناغم بين الفكر الإسلامي الحديث وأساليب التربية الغربية المعاصرة.ختاماً، يتضح أن بناء أجيال قادرة على العطاء والتقدم لا يتأتى إلا من خلال معلمين يمتلكون القدرة على التأثير الأخلاقي الحقيقي، ويشكلون نموذجاً يُحتذى به في جميع أبعاد الحياة، فبذلك تتجسد رسالة التعليم الحقة التي تسعى إلى صياغة الإنسان الكامل القادر على تحمل مسؤولياته الفردية والاجتماعية، والرافع لشعلة القيم الإنسانية السامية في عصر متغير.عند التأمل العميق في دور القدوة الأخلاقية للمعلم، ندرك أن الأثر الذي يتركه يتجاوز حدود الصف الدراسي ليصبح ركيزة أساسية في بناء الإنسان والمجتمع. إن المعلم القدوة هو ذلك المرآة التي يعكس فيها الطالب صورته الأولى عن القيم، والمبادئ، والأخلاق. من خلال هذا الانعكاس تتشكل ملامح الشخصية، ويُرسخ التفاعل بين المعرفة والسلوك بشكل عضوي، متجسدًا في حياة الطالب اليومية.القدوة ليست صفة عرضية، بل

هي وظيفة جذرية تتطلب من المعلم أن يكون حاضرًا بكامله؛ عقلًا وقلبًا وسلوكًا. هذا التماسك الأخلاقي يُعد من العوامل الحاسمة في خلق بيئة تعليمية محفزة، آمنة، ومستقرة، تتيح للطالب الفرصة للنمو الشامل والارتقاء الفكري والوجداني.الفكر الإسلامي المعاصر، في تجانسه مع التجارب التربوية الغربية الحديثة، يؤكد ضرورة انبعاث التربية الأخلاقية المتكاملة، التي تعتمد على شخصية المعلم كنموذج حي للطالب. وعبر هذا التكامل، يمكن للأنظمة التعليمية أن تتجاوز مجرد نقل المعرفة إلى بناء شخصية متوازنة قادرة على الإبداع، والمبادرة، وتحمل المسؤولية في المجتمع.

في نهاية المطاف، يبقى المعلم القدوة هو البوصلة التي توجه التعليم إلى بر الأمان، وهو القلب النابض في كل إصلاح تربوي ناجح. لا سيما في ظل المتغيرات العميقة التي يشهدها عالمنا اليوم من تحديات ثقافية وتقنية، يبقى الاستثمار في تكوين المعلم الأخلاقي نقطة تحول حاسمة لمستقبل أكثر إشراقًا.

توصيات البحث

١. **تطوير برامج إعداد المعلمين لتعزيز القدوة الأخلاقية:** ينبغي أن تتضمن برامج إعداد وتطوير المعلمين موادًا تدريبية متخصصة تُعزز من الوعي الذاتي، والقدرة على التمثيل الأخلاقي، والمهارات السلوكية التي تساعدهم على أن يكونوا نموذجًا حيًا للطلاب.

٢. **دمج القيم الأخلاقية في المناهج الدراسية بطريقة عملية:** ينبغي إعادة تصميم المناهج لتكون أكثر تفاعلية، ترتكز على القيم، وتربط المعرفة بالسلوك من خلال تطبيقات عملية تعكس القيم التي يلتزم بها المعلم.

٣. **إنشاء بيئة مدرسية داعمة تعزز احترام القدوة:** ينبغي أن تبنى المدارس بيئات تربوية تشجع الاحترام المتبادل، وتكافئ السلوك الإيجابي، وتدعم التواصل الفعّال بين المعلمين والطلاب، مما يُسهم في تعزيز تأثير القدوة.

٤. **تفعيل دور التقييم المستمر لسلوك المعلمين:** يجب اعتماد آليات تقييم دقيقة لسلوكيات المعلمين وأخلاقهم المهنية، إضافة إلى تحفيزهم على التطوير المستمر بما يتناسب مع التحديات المجتمعية الجديدة.

٥. **تشجيع البحث العلمي في موضوع القدوة وتأثيرها التربوي:** ضرورة دعم البحوث والدراسات التي تعالج العلاقة بين القدوة الأخلاقية للمعلم وفاعلية التعليم من منظور متعدد التخصصات وباستخدام منهجيات علمية حديثة.

٦. **تعزيز التعاون بين الفكر الإسلامي الحديث والتجارب التربوية الغربية:** فتح آفاق حوار جاد ومستمر يهدف إلى تبادل الخبرات والتقنيات التعليمية التي تدعم بناء معلم القدوة، مستفيدين من كلتا الحضارتين لتطوير التربية الأخلاقية.

٧. **تفعيل دور الأسرة والمجتمع في دعم المعلم القدوة:** توعية الأسرة والمجتمع بأهمية دور المعلم في تشكيل القيم، والعمل على بناء شراكة فعّالة مع المؤسسات التعليمية لدعم المعلمين وتشجيعهم.وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين.

القرآن الكريم.

١- الأخلاق الإسلامية وأسسها: د. سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، ط٥/ ٢٠١٠م.

٢- أخلاقيات مهنة التعليم في ضوء الفكر الإسلامي المعاصر: الرفاعي، عبد الرحمن، دار البيان العربي، دمشق، ط١/ ٢٠١٥م.

٣- الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه: القرضاوي، يوسف، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤/ ٢٠٠٢م.

٤- الإنسان بين المادة والروح في التصور الإسلامي: القره داغي، علي، دار البشائر، بيروت، ط٢/ ٢٠١٣م.

٥- بناء الشخصية الإسلامية في ضوء التربية الأخلاقية المعاصرة: الدكتور الزغبي، طارق، دار السلام، القاهرة، ط١/ ٢٠١٦م.

٦- التربية الإسلامية والعلمانية: الدكتور محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط٣/ ٢٠٠٠م.

٧- التربية والتعليم في الإسلام: د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية، ط٢/ ٢٠٠١م.

٨- الدراسات في قضايا فكرية معاصرة: الدكتور أحمد سلمان المحمدي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط١/ ٢٠١٧م.

٩- رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، ط٢/ ١٩٧٦م.

١٠- القدوة في التربية الإسلامية: د. محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٤/ ١٩٩٨م.

١١- القيم التربوية في الإسلام وأثرها في المعلم والمتعلم: د. خالد، طارق، مكتبة الأندلس، الرياض، ط١/ ٢٠١٤م.

١٢- القيم التربوية في الإسلام وأثرها في بناء الشخصية: د. علي بن محمد الشبيلي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٣/ ٢٠٠٤م.

١٣- مشكلات الدعوة والداعية: يكن، فتحي، دار المعرفة، بيروت، ط٧/ ٢٠٠١م.

١٤- المعلم في الفكر التربوي الإسلامي: الطويل، عبد العزيز، دار المعارف، القاهرة، ط٢/ ٢٠١٢م.
١٥- هكذا علمتني الحياة: السباعي، مصطفى، دار الوراق، بيروت، ط٥/ ٢٠٠٨م

هوامش البحث

[1] سورة العلق: ١-٥ .
[٢] ينظر: القيم التربوية في الإسلام وأثرها في بناء الشخصية: د. علي بن محمد الشبيلي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٣/ ٢٠٠٤م، ص٤٥.
[٣] (المجادلة: ١١).
[٤] (فصلت: ٣٣)،
[٥] ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها: د. سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، ط٥/ ٢٠١٠م، ص٢١١.
[٦] ينظر: القدوة في التربية الإسلامية: د. محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٤/ ١٩٩٨م، ص١٣٣.
[٧] ينظر: التربية والتعليم في الإسلام: د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية، ط٢/ ٢٠٠١م، ص٧٨.
[٨] ينظر : رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، ط٢/ ١٩٧٦م، ٢٤١/١.
[٩] ينظر: دراسات في قضايا فكرية معاصرة: الدكتور أحمد سلمان المحمدي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان – الاردن، ط١/ ٢٠١٧م، ٤٥-١١٢.
[١٠] ينظر: الإنسان بين المادة والروح في التصور الإسلامي: القره داغي، علي، دار البشائر، بيروت، ط٢/ ٢٠١٣م، ١٨٩-١٩٦.
[١١] ينظر: مشكلات الدعوة والداعية: يكن، فتحي، دار المعرفة، بيروت، ط٧/ ٢٠٠١م، ١٦٤-١٧٢.
[١٢] ينظر: المعلم في الفكر التربوي الإسلامي: الطويل، عبد العزيز، دار المعارف، القاهرة، ط٢/ ٢٠١٢م، ١٦٦-١٧٢.
[١٣] ينظر: أخلاقيات مهنة التعليم في ضوء الفكر الإسلامي المعاصر: الرفاعي، عبد الرحمن، دار البيان العربي، دمشق، ط١/ ٢٠١٥م، ٢١١-٢٢٠.
[١٤] ينظر: بناء الشخصية الإسلامية في ضوء التربية الأخلاقية المعاصرة: الزغبي، طارق، دار السلام، القاهرة، ط١/ ٢٠١٦م، ١٣٨-١٤٥.
[١٥] ينظر: التربية الإسلامية والعلمانية: عمارة، محمد، دار الشروق، القاهرة، ط٣/ ٢٠٠٠م، ١٢٢-١٢٥.
[١٦] ينظر: القيم التربوية في الإسلام وأثرها في المعلم والمتعلم: خالد، طارق، مكتبة الأندلس، الرياض، ط١/ ٢٠١٤م، ٩٢-١٠١.
[١٧] ينظر: الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه: القرضاوي، يوسف، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤/ ٢٠٠٢م، ٧٧-٨٤.
[١٨] ينظر: هكذا علمتني الحياة: السباعي، مصطفى، دار الوراق، بيروت، ط٥/ ٢٠٠٨م، ٨٩-٩٤.
[١٩] رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، ط٢/ ١٩٧٦م،٢٤١/١.